وجه آخر للعشق

اسم العمل : وجه آخر للعشق
النوع : مجموعة قصصية
تأليف : صابر الجنزوري
تصميم الغلاف :
إخراج داخلي : عبدالقادر فايز
الطباعة : اتيليه تاتش – المحروسة
الناشر : الدار للنشر والتوزيع
المدير العام : محمد صلاح مراد
تليفون : ٠١١٢٥٨٠٠٤٦٧
البريد الإلكتروني : eddar_press@yahoo.com
فيس بوك : www.facebook.com/eldarpublish
رقم الإيداع : ٢٠١٨/٢٦٥١
التـرقيم الدولي : I.S.B.N.: 978-977-702-602-4

وجه آخر للعشق

مجموعة قصصية

صابر الجنزوري

الدار
للنشر والتوزيع

٢٠١٨

الإهداء

إلى أمى التى غمرتنى بالحنان

إلى أبى الذى علمني الفضيلة

إلى أساتذتى وأهلى وأصحابى

إلى كل قلب منحنى الحب

إلى كل قارئ سوف يقرأ كلماتى

إلى كل المخلصين فى الحياة

أهديكم جميعا كتابى

وجه آخر للعشق

صابر الجندوري

قبسٌ من نور

قراءة سريعة لما تخفيه سطور

" وجه آخر للعشق "

قد تطول المسافة بين الشاعر الصوفي / جلال الدين الرومي، وبين القاص الرائع / صابر الجنزوري، إلا أن نهر الروحانيات يظل متصلًا بين حروفهما النورانية، إذ يقول الرومي في إحدى قصائده :

إن سرى فيَّ أنينٌ قد ظهر

غير أنَّ الأذنَ كلت والبصر.

فيجيبه قاصنًا الكبير ضمن إحدى أقاصيصه متسائلًا :

أنا من أنا ؟

مبتدأٌ أكونُ

أم كنت في البدء الخبر .

يتقدم القاص بخطى ثابتة واثقة، وصادقةٍ أيضًا، موغلًا في عالم التصوف والمتصوفة، وإثر كل خطوةٍ يخطوها، أو بالأحرى أقصوصةً يقصها يطرح سؤالًا، ويبحث عن إجابة، فنجده أحيانًا يدنو بتؤدة من مسائل فلسفية تتعلق بماهية الوجود، كما في أقاصيصه على سبيل المثال لا الحصر [المصباح / طيف / البهلوان والبحر/ حيرة فرويد / تسالي]، إذ يطرح العديد من الأسئلة الفلسفية وإجاباتها من منظوره الفلسفي كما في أقصوصته " البهلوان والبحر..

-وما الروح ؟

-خفاء لا هواء ونور ولا نار وصفاء ولا ماء.

-والإنسان الأعلى ؟

-انت ياولدى الإنسان الأدنى.

هيا انهض واذهب بعيدا عن هنا حتى لا يؤذيك البحر ، ولا تسل عن شيء أخر .

وفي أحايين أخرى يتناص ببراعة مع الموروث الديني والإجتماعي كما في أقاصيصه [المصباح / الراقصة / المجذوب / سلطان العاشقين / أنين الناي]، كمان نراه واضحًا في أقصوصته " الراقصة"..

تدللت الراقصة، وتغنجت ومالت على صدر الملك وقالت : رأس الرجل النورانى يامولاى أبتغي !

اغتم الملك وحزن قليلا، ثم أشار للسياف أن يأتى لها برأس النورانى على طبق ذهبى .

ولا ينسى القاص أن ما مضى قد مضى، وأنَّ أقدامه موضعها الآني في زمنٍ مختلف وبيئةٍ مغايرة، بما فيها من مشاكل آنية، قيتمهل في خطوه راصدًا ومحللًا، وموجهًا وإن خفيةً إلى حلولٍ يراها ناجزة، فيضئُ قبسًا من نور مصابيحه، عل أحدًا يهتدي .

ولا يلبث القاص أن يواصل رحلته عبر الأزمنة، فيتجاوز حاضره إلى غيبيات مستقبلٍ بعيد، إذ نتلمس ذلك في أقصوصته " القادم من السماء، إذ يقول فيها..

كان الرجل الذي بالسماء جالسًا أمامها، تعطلت لغة الكلام، فأشارت إليه " .

وإن كان قلب القاص الكبير منشغلًا بالعشق الصوفي والفلسفي، فلا يزال به فسحةً تهفو بمشاعرها الفياضة نحو الجنس الآخر، كما نلمح ذلك في أقاصيصه [خلود / وجه آخر للعشق]، حين يتناهى إلى مسامعنا همسه الحنون في أقصوصته الجميلة " وجه آخر للعشق " ...

كنا معًا..في حديقة عشقٍ واحدة.. فإذا بسورٍ قد أحال بينه وبينها .

لا يجد أي قارئ لهذه المجموعة القصصية الرائعة عناءً، في الوقوف على ما يميز الأسلوب السردي للقاص الكبير / صابر الجنزوري، ألا وهو ميله الشديد إلى المشهدية الكاملة بكل تفاصيلها، وتفاصيل تفاصيلها، كأني به فنانًا تشكيليًا يعي جيدًا أين يضع فرشته، واللون المناسب لها في كل موضع .

الأديب المصري / محمد البنا

يوم أو بعض يوم

اليوم هو ذكرى مرور عشر سنوات على يوم وفاتي.

مر ذلك اليوم بحلوه ومره ، وهاهى ذكرياته تداعبني كنسمات يوم ربيعي من أيام نيسان .

كثيرا ماكنت افكر فى ذلك اليوم وأحاول أن أتخيله .

كيف أموت ؟

لم يشغلنى الأين ولا الزمان بقدر ما كانت تحيرنى كيف ولماذا .

تخيلت كثيرا ، حادث سير،أزمة قلبية، غرق، واشياء أخرى كثيرة .

لكن الذي حدث انى كنت ورقة سقطت فى بداية الخريف.

جاءنى فجأة فسقطت الورقة بفعل الجاذبية إلى الأرض .

كان يوما رائعا، ضحكت فيه كثيرا ،

كل الذين حولي كانوا بين باك وصارخ .

وأنا مستسلم تماما للنوم العميق .

على منضدة الغسل ، ظن المغسلون من خلال إبتسامتي أنى أري الجنة ، لكنى كنت اضحك منهم ، خاصة من ذلك الرجل الذي يربط اطرافي ويلف عنقي بشريط من الثوب الأبيض الذي وضعنى فيه، وقطع قطنية يضعها بفمى وأنفي وعينى ، كنت أريد مقاومته وهو يثنى ذراعاي ويضع كفي الأيمن فوق الأيسر على صدرى .

ولأنى لم استطع مقاومته ضحكت واستسلمت لهم حتى وضعونى فى الصندوق الخشبي المسمى بالنعش .

خرجت من البيت محمولا فوق الأعناق ، كأنهم يحتفون بي ، كنت أرى وأسمع كل شيء ، حتى وصلوا بى إلى المسجد ليكرمونى ويصلون على جسدى المسجى أمامهم .

حملونى مرة أخرى فوق الأعناق ومشوا بى فى طريقهم إلى القبر الذي جهزوه للحظة دخولى إليه .

مشاعرى كانت غريبة، أرى جسدا لاحراك فيه ولانبض .

ونفس تسمع وترى بلا جسد ولا ظل ولا أحد يراها .

جاءت اللحظة التى اخرجونى من نعشى ، بين الضجيج البارد وهمس الكلمات ارتفع صوت الوداع ،

كان جسدى ينزل معهم إلى حفرة القبر، بينما انا اصعد إلى السماء، الأرض أخذت مالها، والسماء أخذت مالها .

لم أحزن قط مثلما حزنت فى تلك اللحظة ، اشد ما أحزننى أنى لن أجلس مرة أخرى مع الأصدقاء .

كانت اللحظات الأولى داخل تلك الحفرة الرطبة بمثابة الدخول لبيت جديد أحاول استكشافه والتكيف معه .

كنت كمن يحرس جسدى ويشاهد ما سوف يحدث له .

تكيف الجسد مع وطنه الجديد . نام نوما عميقا .

لكنى مازلت احيا وأشعر واري وأسمع . اشعر بوجودى بنفس كيانى وصورتى وشكلى وكانى صورة رسمت من سحاب .

ها هى زوجتى تقف امام صورتنا التى أخذناها يوم الزفاف ، وهاهم الأبناء وهاهو حفيدي الأول الذي رايته بعد موتى .

وأصدقائي يجلسون بنفس المكان على شاطىء النهر بعد العشاء .

مازالوا يذكرونني ، هتف أحدهم أنه يشعر بروحي معهم، اجلس فى مكان جلوسي بينهم .

رفعوا ايديهم للسماء ...قرأوا لى الفاتحة .

كل حديثهم كان عنى ، ضحكت معهم كثيرا وضحكوا كلما استرجعوا الذكريات .

مازلت روحا معلقة بحفنة التراب التى كانت من قبل جسدى . عاد الجسد إلى رحم الأرض .

وكلانا ينتظر لحظة الميلاد الثانية لنلتقي مرة أخرى .

قلب مفتوح

لحظة فارقة بين الحياة واللاحياة ؛

لم يكن يشعر أنه يعيش فى تلك اللحظه ؛

ويتأرجح بين المنطقة الرمادية بين الحياة

والموت ؛

لاشىء من حواسه يعمل غير عينيه ؛

بالرغم من المخدر الذي جعله يشعر انه بلا جسد ؛

وبلا ظل ؛ يشاهد نفسه ؛ على شاشه تم تثبيتها على جدار الحائط الذي أمامه ؛

يرقد مرتديا جلبابه الأبيض فوق طاولة طبية ؛

يحيط به الاطباء ؛ تفحص وجوههم وهيئتهم ؛

تفلتت منه الإبتسامة ؛

يرتدى الأطباء ملابس بيضاء غريبة ؛ لاتسطيع ان تفرق بينهم ؛ حيث التشابه بينهم كبيرا ؛

وجوههم بيضاء ؛ يشوبها حمرة وردية بالخدود ؛

فلا يفرق بينهم الا لون العمامة التى تغطي رؤوسهم.

يتوسطهم كبيرهم بعمامته الحمراء ؛ وعلى يمينه يقف صاحب العمامة السوداء ؛ وعلى يساره يقف صاحب العمامة الخضراء.

ثلاثة أطباء وقفوا عند راسه؛ وطبيبة نورية الوجه والحسن ؛ ترتدى ثوبها الابيض وغطاء رأس اخضر ؛ تقف على يمين الطاولة؛

تحدثوا لبعضهم البعض ؛ لايسمع من حديثهم شئ؛

لكنه يبصر حركة الشفاه والايدى ؛

ما أن انتهى حديثهم ومشاوراتهم ؛

اشار ذو العمامة الحمراء الى الطبيبة الحسناء ؛

تقدمت إليه ؛ شقت طوليا جلبابه الأبيض ؛

لينكشف صدره ؛ وتتراجع مكانها ؛ يتقدم كبيرهم نحو صدره ؛ يمر بسبابته عليه ؛ ينفتح الصدر ؛ يمد يده داخله ويخرج قلبه ؛

يعطيه لصاحب العمامة السوداء ؛ يمسكه بيده ؛ ينظر اليه متعجبا ؛ فالقلب كان يغطيه لون لدخان أسود.

بدوره يعطيه للطبيبة ؛ التى سرعان ماتضعه فى طبق ملئ بالماء ؛

دقائق قليلة مرت ثم أخرجته ؛ والقت بالماء الذى تلون باللون الأسود فى بالوعة بارضية الحجرة التى أكتسي لونها باللون الوردى ويفوح عبير ياسمين فى أرجائها ؛

تضع القلب فى طبق أخر ؛ تخرجه من جديد ؛

بين يديها البيضاء يبدو كوردة قرمزية جميلة ؛ تناوله لصاحب العمامة الخضراء ؛ الذي يعيده بدوره إلى الصدر ؛ فيشاركه صاحب العمامة السوداء فى تثبيته وتوصيله بالأوردة والشرايين ؛ فينتفض القلب برعشه جديدة ونبض جديد .

تهللت وجوههم النورانية ؛ يمر صاحب العمامة الحمراء بإصبعه فوق الصدر فيعيده كهيئته الأولي .

وتخيط ثوبه الطبيبة ذات الوشاح الأخضر.

مبروك..

قالوها...فسمعهم!

غادروا الحجرة وتركوه فوق طاولته ؛

يفرك عينيه .

رويدا رويدا تتفتح عيناه كوردة تتفتح أوراقها ،

ينظر حوله ؛

كان هناك شيخه بوجهه النورانى جالسا متكئا على عصاه امام فراشه ؛

مبروك ..نجحت العمليه.

قالها الشيخ فى همس حنون .

حملق فى وجهه طويلا .

أشار إليه بالنهوض.

ليمتزِج عبير الياسمين بزغاريد النساء .

المصباح

ماهذا الرجل ..ياله من رجل غريب ؟

يقولها البعض بهمس ، ويهتف بها أخرون ، واخرون يضربون كفا بكف ، يسأل أحدهم : لماذا هو غريب ؟

- ربما ياأخى لهيئته الغريبة ،

- يسأل اخر : هل الرجل مجنون ؟

- يبدو ذلك ولكن هل لمجنون أن يكون له أتباع ؟

- يبدو أنهم جميعا أبناء مجانين ..فلننتظر ونرى ياأخى .

لم تكن هيئة الرجل التى ظهر عليها وسط الميدان هى ماجذبت أنظار الناس إليه وحدها ، حيث بدا من خلال إرتدائه معطف من الصوف به ثقوب كثيرة ، يرتديه فوق جلباب رمادى ممزق فى يوم من أيام الصيف

شديد الحرارة ، بل ماكان يحمله فى يده أيضا ويمشى به فى ذلك اليوم المشمس وسط الظهيرة ،

ممسكا عصاه الطويلة التى تكاد تقترب من لحيته ، وفى يده الأخرى فانوسا مضيئا ،

تقدم إلى مركز دائرة الميدان ، ووضع قطعة ذهبية ،ثم عاد إلى محيط الدائرة ، صاح فى أتباعه : هيا أيها التلاميذ فليخرج كل منكم فانوسه ونبدأ التجربة ،

أخرج كل منهم الفانوس الذى كان يخفيه واضاءه واصطف فى دوره وراءه،

- قل لنا يامعلم ماذا نحن فاعلون ؟

- انظروا هناك ..الى مركز الدائرة ..هل ترون شيئا؟

- نعم هناك شيء يلمع يدل عن ماهيته ،

- وكيف عرفتم ؟ ربما يكون سرابا ،!

- نعم ربما يكون كذلك ! ،

- من أجل ذلك نحن هنا حتى نري الحقيقة ،

- كيف يامعلم ؟

- فليمسك كل منا فانوسه ويدور معى حتى نتبينها ،

بدأ الرجل وأتباعه يدورون ويوجهون ضوء فوانيسهم تجاهها ، بينما يتابع الناس خارج الدائرة الموقف فى ترقب حذر وسط همس ومزيج من الدهشة ،

تقدم إليهم شيخ يسألهم مالخطب ؟

أشاروا إلى الرجل وأتباعه وأخبروه عما يحدث،

هز رأسه واقترب منهم مخاطبا : ماذا تفعلون ؟

تهلل وجه الرجل وابتسم قائلا : انضم الينا ولو شئت لاتخذت أجرا .

وسوف تدرك مانفعل واخرج فانوسا من جيب جلبابه و اعطاه للشيخ

الذى لم يعقب واخذ دوره وراء الرجل ،

مالبث الوقت يمضى ويدخل راهب على المشهد ويتكرر معه ماحدث مع الشيخ ويواصل الجميع دورانهم ،

يصل إلى الجمع كاهن فيقص عليه احدهم المشهد ،يهز رأسه فى خبث ،واشار إليهم بالتوقف ، سألهم : ماخطبكم أيها الحمقى تبحثون عن الذهب وهو أمامكم وتشعلون مصابيحكم والشمس تكاد تضرب رؤوسكم .. يالكم من حمقى !

ابتسم الرجل واتباعه ورد عليه قائلا : ربما الذى تراه بعينك لامعا لايكون ذهبا بل سرابا فان رايته بقلبك عرفت حقيقته وهانحن نفعل لو شئت تعالى معنا وجرب ،

ضحك الكاهن ساخرا وأردف : بل سوف انتظر خارج الدائرة لأحصل عليه وحدى عندما تتساقطون جميعا...يالكم من حمقى . ،،

مالبث ان تركهم ووقف مع الجمع يترقب حتى هلل الحضور عندما شاهدوا عالما مقبلا عليهم فاخبروه عما يحدث وماكان من الشيخ والراهب والكاهن وطلبوا منه ان يتدخل ،

اقترب العالم من الدائرة ..خاطب الرجل الذي أشار لأتباعه ان يتوقفوا : ماذا تفعلون ايها الرجل الفاضل ؟

- كما ترى سيدى نريد ان نرى الحقيقة التى هناك ،

- وأنى يكون ذلك؟

- ندور حولها ونسلط مصابيحنا عليها ونفكر و نفكر،

- كيف وليس بينكم وبينها طريق للوصول ...قال العالم .

- اذا قل لنا ياسيدى لتوفر علينا المشقة والعناء...قال الرجل

فكر العالم قليلا ...وأردف .إسمعوا لي ايها الرجل الفاضل

فليقف كل منكم مكانه على محيط الدائرة وبرسم خطا مستقيما بينه وبين مركز الدائرة ثم يمضى حتى يصل ...هكذا تفعلون ، وها أنا ذا معكم ، ،

تهلل وجه الرجل فرحا ورسم كل منهم خطه ، مضى كل منهم فى طريقه ، اصطدم بعضهم ببعض ، تساقط الواحد منهم تلو الأخر ، وانطفأت المصابيح .2016

أنين الناى

الزحام شديد ، إمتلأت الساحة بالبشر ، يتدافع الجميع للهروب لكن لافائدة ..اكتمل العدد ، وارتفع الصاري يحمل علما احمر وسط الميدان ،انه المولد الكبير الذي ينتظره اصحاب القرية، تتداخل اصوات كل شيء ، تشخص الابصار لتلك المقبرة الواقعة فى نهاية الساحة حيث سيصعد المنشد وفرقته ،كان المسرح قد أعد فوقها ، حيث ترتفع عن الارض مترين ،ويتساوي طولها مع عرضها ! ،فرشوا سطحها بالسجاد الاحمر ،فهى تفصل بين الساحة ومنطقة المقابر ، صاحبها سيدنا الولى صاحب المولد وصاحب الكرامات والمعجزات ،صعد المنشد وفرقته بعد ان اخترقوا الزحام الشديد ، بدأ صاحب البوق إعطاء الاشارة ،حيث نفخ نفخته لينتبه الجميع وينصت، وصاحب الناي يعزف فى شجن ،تكاد تسمع أنينه وبكاءه كأنه نار لاهواء ، فيئن ويخبرنا عن احاديث عشق كان... وحكمة محرمة لايدركها الذين لايعقلون ، يتوالى العزف ممهدا لبداية القصيدة، ساد الصمت ،خشعت الاصوات ، بدأ المنشد الغناء :

منذ نأي الغاب وكان لى وطن

ملأ الناس أنينى بالشجن

إن سرى فى أنين قد ظهر

غير أن الأذن كلت والبصر

أنا من انا ....جذر أكون

أم جذع شجر

أنا من أنا ...مبتدأ أكون

أم كنت فى البدء الخبر

يقوم كل من بالساحة فى نوبة ذكر فتعلو النغمات، يرتفع صوت المنشد ،ويتردد صداه ، يذهب بعيدا ، يصيح الذاكرون، فيباغتهم صاحب البوق ،ينفخ نفخته ،فيتوقف الجميع ويعود الصمت من جديد،بينما يخرج من القبر رجل يتوجه للمنشد و يصيح فيه سائلا : ياهذا من أنا ؟ فى دهشه يري نفسه فى عينيه ،

يجيبه : أنا..انت .

" تمت"

ملاحظة

منذ نأي الغاب وكان لى وطن

ملأ الناس أنينى بالشجن

إن سرى فى أنين قد ظهر

غير أن الأذن كلت والبصر

(شعر..جلال الدين الرومى)

أنا من انا

جذر أكون

أم جذع شجر

أنا من أنا

مبتدأ أكون

أم كنت فى البدء الخبر

(شعر صابر الجنزوري)

الرقصة الأخيرة

استيقظ مرعوبا من نومه على دوى مدفعية وطائرات تخترق صمت السماء وانفجارات تهز الأرض هزا كزلزال مدمر ، هبّ من فراشه يتخبط يمينا ويسارا ، ظلام دامس يحيط به ، يجرى فى كل الاتجاهات.

-يا أولاد الأفاعى ، يرددها برعب ، وهو يغادر المنزل ، متخذا من درابزين السلم دليلا ،سرعان ما لامست يداه الباب فخرج إلى حيث النفق الذى يتجمع فيه الهاربون من الموت ،

يدخل ..مرددا يا أولاد الأفاعى ، اخترق سمعه أنين وبكاء وصراخ وأصوات تتضرع إلى ربها بالدعاء من أجل النجاة ،

لا أحد يرى ، ولا يسمع ، حوار عميان و طرشان وضوضاء متداخلة ، أطفال رضع ، نساء ، رجال ،شباب، وصبايا وشيوخ ، لم يبالِ به أحد وهو يبحث عن حائط يلوذ به ويرتكن إليه ، حاول ما استطاع ألا

يصطدم فى طريقه برأس شيخ أو يدهس قدم طفل ، آوى أخيرا إلى الحائط ، بكى ، ضربه برأسه ، وظل يردد : يا أولاد الأفاعى !

توقف الزمن داخل النفق ، لكنه مات خارجه ، ماعاد يرى ولا يسمع ، يصيح بأعلى صوته ، لماذا صمتم ؟ ولماذا بكيتم ؟ هذا ماجنت أيديكم ، ردوا علي ، هل متم جميعا ، هل اختنقتم ، لعنة الله عليكم ،

لا من مجيب ، أصابه الصمم كما أصابهم ،

كان صوته لايخرج من جوفه ، فقد أصابه البكم مثلما أصابهم ،

أسند ظهره إلى الحائط وجلس فاردا ساقيه ، بينما جفت دموعه ، كانت ثمة بقعة ضوء يراها تخترق الظلام ، سرعان ما نمت تلك البقعة رويدا رويدا ، ليخرج منها رجل يقف فى وسطهم ،!

فركوا أعينهم ، أغمضوها ، وفتحوها من جديد

الرجل طويل ، عريض الصدر ، والنور يشع من وجهه ، لاشيء يكسو جسده غير قطعة من وبر جمل تستر عورته ،

هو ذاك الذى رأيته يصيح ...يا أولاد الأفاعى ، هو ذاك الرجل الذى بداخلى يصيح ويتحدث بلساني ،

لم ينطق الرجل النورانى بشيء ، ولم يلبث الا قليلا ، حتى ظهر رجال مدججون بالسلاح ، قبضوا عليه واصطحبوه للخارج ،

لكن الرجل ترك وراءه نورا ، وأحدث شيئا غريبا ،

بدا هناك فى احد اركان النفق خشبة ، يظهر فوقها رجال ونساء ،

يبدو من الجالس فوق كرسي ذهبى أنه ملك ، والسيدة التى تجلس على يمينه أنها زوجته ، وحوله الحاشية ، وراقصة جميلة تشعل غريزتهم وتؤجج نار الجسد فيهم ، تظل ترقص وترقص وكؤوس خمر تدور عليهم حتى تساقطوا من النشوة التى غمرتهم ،

يصفق الملك ويقول للراقصة : تمنى علي ياجميلة جميلات الزمان ، كل ما تتمنيه يجاب وإن طلبتِ عرشي أعطيه لك .

تدللت الراقصة ، وتغنجت ومالت على صدر الملك وقالت : رأس الرجل النورانى يامولاى أبتغي !!!

إغتم الملك وحزن قليلا ، ثم أشار للسياف أن يأتى لها برأس النورانى على طبق ذهبى، كانت الغريزة قد أكلت جسده ، أخذ بيد زوجته متجها إلى مخدعها وهى تضحك فى صخب ، فقد كانت الملكة أم الراقصة !

اختفي كل شيء فجأة ..وعاد الظلام ، ومازال الناس يصيحون دون أن يتجاوز صوتهم حناجرهم !

ظهرت بقعة الضوء وتشكلت من جديد ، وتجسد منها الرجل النورانى ، عاد إليهم الوعى ، فهتفوا ،و بكوا ، وغنوا ،

تكلم الرجل ، وهو يمد إليهم يديه : تعالوا نخرج من النفق ، فقد بزغ الفجر بالخارج ،

خرج الجميع وراءه ، ماتت السحب السوداء ، حلت مكانها سحب بيضاء وأشعة قرمزية ..وضوء نهار آذار يتهادى مقبلا و مختالا ،

كاد الجوع أن يقتلهم جميعا . حتى أنقذهم الرجل النورانى الذى أتى

لهم بالخبز والجراد والعسل ، ما أن انتهوا من أكلهم حتى

صاح الرجل النورانى فيهم :

يا أولاد الأفاعى ."توبوا فقد اقترب ملكوت السموات " .

"تمت"

صابر الجنزورى

10 /5 /2016

القادم من السماء

التقطت الأقمار الصناعية صورة صغيرة لشيء ابيض لم يتبين ماهيته .

بدات كل القنوات الفضائية بث تلك الصورة عبر برامجها .

توافد علماء الفلك والفضاء على القنوات لشرح وتحليل الصورة.

وأختلفت الأراء وتباينت التقارير وكثرت التكهنات .

بينما كان هناك ذلك الرجل الذي استقبل الخبر بهدوء العارف بالأمر.

وابتسامة هادئة ارتسمت فوق شفتيه عندما بادرته زوجته بالسؤال عن رأيه فيما تبثه القنوات .

تهلل وجهه ضاحكا قائلا : واذا قلت لك ماهو هل تصدقين ؟

ضحكت كعادتها وأردفت : أصبحت أخاف منك ... لاتقل لى أنك حلمت به .كعادتك ..تخبرنى بأحداث تحلم بها واسخرمنك، . وماتلبث أن تتحقق ولو بعد حين ... اخبرنى هل رايت شيئا ؟

- ليس المهم أن أرى شيئا .المهم أن أخبرك عن ذلك الشيء الذي بالسماء.

- إذا ماهو ؟

- إنه بيت أبيض صغير .له باب واحد . وفوقه يجلس الذي سوف يسكنه على الأرض .

علت الدهشة وجهها ورمقته بنظرة حادة .فسر لى قولك .

- هذا البيت سوف ينزل من السماء .

- ولماذا البيت تحديدا ؟؟

- لان صاحبه لايملك على الارض بيتا .

- ومن صاحبه ؟

- هو ذلك الجالس فوقه .

- ولماذا لايسكن فيه وهو فى السماء ؟

- السماء التى فيها هى سكنه . وهذا البيت جُهز له ليكون سكنه بالأرض.

ثمة رجفة اقتحمت جسدها وزادت دهشتها ولمعت عيناها وهى تسأله:

- ومن يكون إذا ؟

باغتها بقوله : إلى هنا ... أتوقف عن الكلام... . لا أستطيع ان أخبرك أكثر من ذلك،. ولكن علينا أن نجهز أنفسنا لإستقباله .

كانت القنوات تبث صورة جديدة لأشياء بيضاء صغيرة تلتف حول الشيء الأبيض .

لتبادره سائلة : ماهذه الاشياء التى ظهرت مجددا ؟

- فى هدوء : إنها ياحبيبتى حفلة الوداع !

- يبدو انك تريد ان تجننى ولكن لن اسمح لك !

- أي حفلة وداع يارجل ؟

- عذرا حبيبتى لا أستطيع أن اجاوبك .

هزت راسها موافقة وأردفت : فمتى ينزل البيت وصاحبه وأين ؟

- اقترب نزوله ..كلها يوم أو بعض يوم ..وسوف ينزل بالأرض الحمراء ؟

- يا إلهى ..أكاد ان أجن ...كفى ..لن أسالك عن شيء اخر .

- ضحك بصوت عال قائلا ..إحذري أن تخبرى أحدا ..

- لو أخبرت أحدا لاتهمنى بالجنون ..

فى اليوم التالى سافر زوجها. بينما هى كانت تفكر فى كلماته .وتسترجع كل كلمة قالها وهى تشاهد ماتبثه القنوات الفضائية من جديد الأخبار.

ضغطت على ارقام هاتفها . واتصلت بأكثر القنوات شهرة ومشاهدة .أخبرتهم ان لديها معلومات وانها تعرف أمر هذا الشيء.

ارسلوا لها سيارة .حملتها إلى الأستوديو. وعلى الهواء .جلست فى مواجهة المذيعة الحسناء التى تتأهب لسبق إخبارى يهز العالم .

مقدمة ترحيب وإعجاب ألقتها المذيعة .

بينما نشوة الزهو والشهرة تتملكها .

- تفضلى أخبرينا سيدتى ..قالتها المذيعة .

تملكتها فرحة عكست ابتسامة علت وجهها عندما واجهت الكاميرا وتوجهت بعينيها إلى المذيعة ...لكنها لم ترها ....،

كان الرجل الذي بالسماء جالسا امامها .!!

تعطلت لغة الكلام ... فأشارت إليه .

" تمت "

صابر الجنزوري

١٩ اغسطس

٢٠١٦

وجه أخر للعشق

قلبه قلب عاشق ، يبكى ، يهيم ، يرنو لنظرة ،

يشتاق لموعد غرام ، روح مستهام ، وقلب بالغرام قريح ،

ماكان له العشق وماكان له الغرام وماكان له فؤاد يخفق .

هى...رائعة الحسن ...ماكان لها الغرام وماكان لها العشق ...

رأته بديع حسن وطلعة ، ورأها حسناء حتى كاد الحسن ان يتكلما ...شيء ما بدا ، وشيء ما قد اختفي ، فليس بشرعهما الغرام !

لم تر ذلك القبح الذى قيل عنه ، لكنها راته بعين اخرى ،

عين لاترى إلا الجمال ، فلما لاح منه نور من ناره ، بكت ، ودمعة منها ترقرقت .

قال :

- لايشغلنك شيء من أمرى ...فليس بينى وبينك صراع...

كنا معا ... فى حديقة عشق واحدة !

- قالت : فعز اللقاء !

- قال : ياويلتى ! وبصر ...اذا بسور أحال بينه وبينها،

هنالك كانت أمامه أنثى أخرى...ظن انها حبيبته ،

ماكان بها الا شعاع من نور حبيبته ، عرف انها ليست له،

بكى ، غار من الرجل الذي معها ،

عاد لصورته ، اشعل نيران حقده .

راته المراة الاخرى قبيحا .

" تمت "

ذات فرع

أنظر يا عبدو إلى الشجرة التى هناك ..ماذا تري ؟

رمى بصره إليها ولم يكن يعرف ما يدور بعقل بن عمته .

- ماذا تقصد يا عبدالحكيم ..اراها شجرة قاربت على الهلاك .

- هذا صحيح ، ومازال بها فرع واحد ..هذه الشجرة زرعها جدك وكانت الأرض ملك لكم ، وآلت إلينا ، لم يشأ أبى ان يجتثها و يقول : إنها شجرة طيبة ، أصلها طيب وريحها طيبة .

عرف المغزى وضرب فى الأرض اعواما عديدة .

مات عبد الحكيم ، أخذه الحنين لرؤيتها ، توكأ على عصاه وذهب إليها .. وجدها ذات فروع واوراق وثمار !

تداعت كلمات بن عمته " مازال بها فرع واحد " إلى ذاكرته .

وترددت كصدى يرن فى سماء الحقل ويعانق أوراق الشجر .

.. تراءى له وجه جده وقد توردت وجنتاه بلـون أوراق ورد حمـراء فى يوم ربيعى ، وكذلك وجه صاحبه الذى رأه بشوشا ضاحكا ، أفاق من ذكرياته عندما وصل إلى المسجد ليحضر عقد قران حفيده العاشر .

" تمت "

خلود

يمر بحديقتها ، يترك فى كل مرة زهرة حمراء ،

يحمل النسيم عطرها إليها ، تتبع أثره ،تهتدى إليه ،

وفوق مقبرته تضع زهرة صبار من حديقتها،

وسعف نخلة من حديقته.

" تمت "

تسالي

لاحظت ان صديقي يضع على مكتبه طبقا صغيرا ملىء باللب و السودانى . يتحدث وهو يتناوله ، يعمل وهو يلقيه بجوفه ، لكنه يبصق قشره على الأرض، فيأتي عامل النظافة يجمعها ويلقيها بسلة المهملات .

يغادر العمل ويأخذ ماتبقى معه ويواصل عادته حتى يعود إلى بيته .

زرته يوما .. أتى بطبق اللب وضعه أمامى ، شاركته عادته ، أضع القشر بمنفضة السجائر ، وهو يلفظه أرضا .

داعبته : ألا تخشي زوجتك ،قال : كثيرا مانتعارك .

سمعت ضحكاته فاستغاثت بي ان احثه على الإقلاع عن عادته ، رجوته لكن... لا فائدة .

سألته : ما السبب ؟

قال : كنت أنتظر يوما أن يسألنى أحد لماذا ؟

ياصديقي كل ما فى الأمر انها ليست عادة وليس إدمان ولكنها فلسفتى في الحياة !

مندهشا سألت : كيف ؟

أجاب : كلما تناولت حبة لب بصقت قشرها ، إننى ابصق على الحياة.

نحن البشر تلك القشور والدنيا لا تستحق إلا ان نبصق عليها !

جاء وزوجته لزيارتنا ، اخرج عبوة اللب ، وضعت امامه طبقا فارغا للقشر ، لم يعبأ به ، واصل فلسفته ، وكذلك فعلت زوجته بعد ان أدمنت واستسلمت لفلسفته فى الحياة .

" تمت "

سلطان العاشقين

فتنه الحب ، اشعل وجده ، ومزق فؤاده ، احبها دون ان تدرى ، فى صمت تجرع ألام وتباريح الهوى ، لم يملك إلا الخيال لرؤياها ، ولم يملك إلا الأحلام للقياها ، ولم يملك إلا الأمال لنجواها .

يمر بباب ديارها يكاد ان يقبل الجدارا ، ينظر إلى شرفتها ، يراها تحلق فى السماء ، وهو على الأرض يهيم فى دروب الحيرة والاوهام .

تمنى لو كان طائرا ليصل إليها ، لكنه كلما طار فى احلام يقظته هوى صريعا وايقظته عيناها .

طارت وطارت وتباعدت وغادرت الديار ، لكنها تدانت وتدانت وسكنت خياله وملكت كيانه وتفردت بمكانتها فى حشاشته ،

هام فى الحياة غريبا ، يبحث عنها فى الدروب والطرقات ، وكلما ذكر اسمها لاحت صورتها أمام عينيه يمنى نفسه بلقاء ولحظة عشق .

اصبح له نظرية جديدة فى الحب ، الحب لا يقتل ولا الهجر يميت ، انه الحياة وعشق كل شيء جميل ،

الـورود ، الزهـور ، البحـر ، والصـحراء ، الليـل والقمـر ، الشـروق والغروب ... اصدقائه واحبابه .

صار يوزع الحب ويبيعه لكل من حوله بلا ثمن ، فمن يحب ويعطى لا ينتظر مقابل عطاءه والمشاعر لاتباع .

الحياة لحظة حب تغمرها السعادة مع من نحب ،

توحد العاشقين وان غابوا بأجسادهم حضروا ، فهم حضور بأرواحهم ونظرات أعينهم وابتسامات شفاهم ،ووجوههم المضيئة التى لا نرى فيها إلا الجمال .

هذه قناعاته التى يحيا عليها وبها ، فغدا الحب مطلق لديه ، فرد الشراع ومد القلاع وصنع سفينته ، صار يدعو الناس للنجاة واللحاق بسفينته ، يخاطبهم :

يا عباد الله حبوا ..فليس بعد الحب ذنب !

قالوا : به جنة

قال : ماضل صاحبكم وماغوى

قالوا : مدعى نبوة وولاية

قال : لكم دينكم ولى دين ، دينى الحب فمن شاء جاء ومن شاء أبى .

حاوره حرافيش العشق ، صدقوه ، ركبوا سفينته ، توافد عليه الناس ، وقف على الشاطىء يدعوهم ...

قالوا : ما انت إلا للحب مدعى !

التفوا حوله ، قبضوا عليه ، سلموه ، حكموا عليه بالجنون ، ارسله القاضي للمشفى .

هناك وجد حبيبته !

" تمت "

حيرة فرويد

تراءى له وجهها كالبدر فى تمامه،

تبسمت ، ثمة حنين وشوق قالته عيناها ،

على قارعة الطريق ينتظرها الأخر ،

وقف حائرا ، لايستطيع ان يفعل شيئا ،

أتت إليه .تهلل وجهه ، تسارعت نبضات قلبه ،

تأبطت ذراعه وبدءا المسير .

- انتبه الطريق طوله ثلاثون عاما !

كلمات مكتوبة قرأها بلوحة معلقة على مدخل الطريق.

لم تبالى ولم يبال ، وطوت أيامهما الطريق !

قبيل النهاية... فاضت مشاعرها ، احتوته ، احتواها .

تعطلت لغة الكلام بينهما .

لم تستطع الهروب من شفتيه !

- انتبه ..بداية طريق أخر ..لوحة أخرى قرأها.

تبين انه نفس الطريق والرجل الأخر معها يسير .

تحسس فمه، وجد أثرا لشفتيها !

" تمت "

رقم معلوم

لم أصدق ان صاحبي قد مات رغم أنى مشيت فى جنازته، أستحضر لقاءاتنا ورحلاتنا، ومرحنا، ولحظات أفراحنا وأتراحنا، وأتذكر إبتسامته، وضحكته، تهيأ لي أنه سينهض من نعشه ونحن نسير فى جنازته، أو يشُق كفنه قبل أن يدخل القبر، تخيلت أنه سوف يفعل ذلك ويكون مقلبا جديدا من مقالبه التى تعود فعلها بأصحابه وزملائه لكنه لم يفعل، وعدت حزينا ودهشتى ظلت معى كثيرا ولم تفارقني.

لم أنسَه ،وداومت على ذكره والدعاء له فى ليلة كل جمعه أقرا وردا من القرآن وأهب ثواب قراءته له، حتى كانت ليلة الأمس التي حضر فيها بقوة بذاكرتي كأنه معى وأتحدث معه.

اليوم ،بعد أن انتهيت من صلاة الجمعة عائدا لمنزلي، سمعت رنة توحي باستقبال رسالة على هاتفي الخلوي، كانت كلمة واحدة مكتوبة (جزر)، يا إلهي إنها مرسلة من رقمه الخاص الذى لم يكن أحد يعرفه

سواى.. تلك كلمة السر بيننا، وتعني قبول أو رفض شيء ما عندما يكون معنا أحد، نعقد بها اتفاقا ضمنيا حين نملّ صحبته ونريد أن نغادر، فيرسلها لي أو أرسلها له.. أول مرة اعتمدنا هذه الطريقة عندما ذهب للقاء صديقة فرنسية أحبها كثيراً وعزم على الإرتباط بها واصطحبني معه، يريد رأيي فيها.

وكانت "جزر" مرة واحدة تعني أنها رائعة وجزر مرتين هيا بنا بسرعة!

إحترت وزادت دهشتي، استرجعت تلك الذكريات وضحكت من طرافتها، حاولت كثيرا أن أتصل على الرقم، كانت الرسالة المسجلة تقول دائما... عذرا الرقم غير متاح أو غير مسجل بالخدمة ويتعذر الوصول إليه، ياربي أيكون حيًا ؟ وكان مقلبا كبيرا، لم أستوعب الرسالة وعشت ساعات من الحيرة والقلق على أمل رسالة أخرى أو اتصال، حتى وصلتني الرسالة الثانية فى المساء باللغة الإنجليزية، فتحتها بلهفة شديدة، أحيانا كان يكتب لى بالإنجليزية أو بالفرنسية، تقول.. وصلت توا إلى القاهرة.. أنتظرك بكافيه الزهور، كان هذا الكافيه الذى نلتقى به ، قرأت الرسالة وبسرعة اتصلت على الرقم.. ترد الرسالة المسجلة ..عذرا الرقم غير متاح أو غير مسجل بالخدمة،

إذن هو أحمد لا شك وتلك مقالبه السخيفة، لكن كيف لقد دفنا الرجل ووارينا عليه التراب وأخذنا عزاءه؟

حيرة مشوبة بالقلق والفرح والغضب، مشاعر كثيرة متناقضة تفاعلت بداخلى وأنا فى طريقى إلى الكافيه، وصلته، قلّبت عينا حائرة بين الوجوه أبحث عنه حتى سمعت صوتا يناديني بلكنة فرنسية... ألى.. ألى.. أنا هنا ألى.. إتجهت إلى المنضدة التى آتي من جهتها الصوت، لورين الفرنسية الجميلة تجلس هناك، تذكرتها قبل أن أراها، لم أنس عندما نطقت أول مرة إسمى " ألي "وتعذر عليها حرف العين وأحمد يحاول جاهدا تعليمها الأسماء والكلمات العربية.. فلا الخاء فارقت أحمد ولا العين عادت لي.

زغردت فى عينيها فرحة كبيرة وهى تصافحنى بحرارة، بقيت حائرا، أنظر إليها وهى تشير إليه قائلة.. هذا هو "أخمد".. مارأيك.. ألى.. بهذه المفاجأة؟

حقا إنها مفاجأة من العيار الثقيل، حملقت فى وجهه وتمعنت في تقاسيمه، اندفعت نحوه بكل شوقي المكتوم بين جوارحي، وجدت نفسي أحتضنه بشدة، أقبله وأبكي وأضحك معا.

" تمت "

٢٧ مايو

٢٠١٦

طيف

وقفت على باب قبرها أقرا الفاتحة ويس والنبأ.

تذكرت وجهها الصبوح قلت : تبارك الذي خلق.

دمعة منى تفلتت،وعبرة ترقرقت.

تحرك فى القلب شجن شجى وأسى.

وجدتها تمسح مدامعي..

اشرقت،تبسمت،وألقت على الفؤاد ندى.

قلت : خذينى معك.

قالت : مازالت الدنيا لك.

صعد طيفها إلى السماء..

نظرت إلى اللحد..تطلعت إلى الفوق..

سألت الصدى : أين يكون الأين ..ومتى ؟

" تمت "

البهلوان والبحر

وقف قبالة الشمس عند الغروب خاطبها : اين تذهبين وانا أراك تغرقين فى موج البحر وتختفين من السماء؟

أتذهبين إلى عالم أخر غير عالمنا ؟

كل العوالم مظلمة وأظلمها عالمنا المظلم الذي نعيشه .

أفلت الشمس ..قال : إني أحب الأفلين !

استلقى على الشاطىء ، احتضنته الرمال ، أخذته سنة من النوم ، ايقظه صوت هادىء لشيخ عجوز: انهض يا بنى ..البحر غدار يا ولدى ولا أحد هنا غيرك ..تفحص وجه الرجل وهيأته فى ضوء القمر الفضي ،

وصخب الموج يرتفع ..قال : يا لك من شيخ طيب ، ولكن لماذا انت هنا ؟

- اكتب وأغنى وأصلى

- عن أي شيء تكتب وتغنى وتصلى لمن ؟

- اكتب عن الفضيلة والعقل والعدل وأغنى للروح وأصلى للإنسان الأعلى .

- وما الفضيلة ؟

- ما تعطيه لغيرك من خير ولا تنتظر شيء

- وما العقل ؟

- كائن جائع للمعرفة

- وما العدل ؟

- كلمة اخترعناها لعالمنا

- وما هو عالمنا

- جسد نعيش بداخله ونفس تحكمنا ، لو علمته لعرفت بشاعته وصورته الرديئه.

- وما الروح ؟

- خفاء لا هواء ونور ولا نار وصفاء ولا ماء .

- والإنسان الأعلى ؟

- انت ياولدى الإنسان الأدنى .

هيا انهض واذهب بعيدا عن هنا حتى لا يؤذيك البحر ، ولا تسل عن شيء أخر ،

نهض وتفحص وجه الشيخ الغاضب ، تسرب إليه خوف ورعب شديد وامتثل لأمر الرجل وتوارى عن ناظريه .

عاد إلى صخب المدينة ، قال فى نفسه : من صخب إلى صخب أتينا وإلى صخب سوف نرحل .

وصل إلى خيمة السيرك ، دلف إلى حجرته ، ارتدى أقنعته ، لون وجهه بأصباغ حمراء وصفراء وخضراء وزرقاء ، خرج إلى الجمهور الذي كان ينتظر فقرته ، تجول بينهم ، يداعب الأطفال والكبار ، يضاحكهم

ويضحكون منه وعليه ، فى ختام فقرته سألهم بعفوية البهلوان الضاحكة : ما الفضيلة وما العقل وما العدل وما الروح ؟

ضحكوا كثيرا كما لم يضحكوا من قبل .

سألهم ثانية : هل سمعتم عن إنسان أعلى ؟

اشاروا إلى السماء !

سألهم وهو يوزع ضحكاته ويجري بين صفوفهم : أين تذهب الشمس ؟ صمتوا واطفئت انوار الخيمة .

خرج من السيرك يهرول نحو البحر عله يجد العجوز ،

لم يعثر عليه ، وقف قبالة القمر وخاطبه : أين النور ؟

نزل إلى الماء ، عاند الموج ، بكى ، امتزجت دموعه بماء البحر ، ظل يبحث عن الشمس !

التقط العجوز ملابسه ، دفنها فى حفرة من رمال ،تحللت الاصباغ ورسمت بقعة حمراء داكنة فوقها .

بكى وصلى ، صرخ وغنى .. هتف : هناك سوف ترى الحقيقة عارية ياولدى .

" تمت "

أصل وصور

لماذا تقتلنى ؟

أعرف أنك لست قاتل...ولكن لماذا ؟

- لو أخبرتك لماذا لفسد كل شيء ؟

- سمعا وطاعة ..لك ما شئت ..سيدى ..!

صرخت إمرأته ..بكت ..تألمت ..سألت ..؟؟

تجاهلت السؤال وضحكت كثيرا ..!

مرت أيام ...نست صراخها وبكاءها ..وارتدت ثوب الزفاف ، تزوجت مرة أخري ..!!

سألنى زوجها ..لماذا قتلت زوجتى ؟

- ليس لك حق ان تسأل ..لقد بكيتها وها أنت تضحك وتعيش ليلة زفاف جديدة ؛ ألا تشعر الأن بسعادة ؟

لا أفهم الحكمة من كلماتك الغامضة .!!

انت تحركنا جميعا كقطع الشطرنج ونحن لا نستطيع ان نفعل شيئا ...مات الملك ..عاش الملك..سمعا وطاعة ..مابأيدينا حيلة امام أفعالك .

وقف القتيل على المسرح يصيح فى المخرج

- اهذا هو دورى ..إنه دور صغير ..والعجب ان اكون قتيلا

ولا أنطق إلا جملة واحدة ..اليس هذا ظلم ؟

سخرت الممثلة التى تقوم بدور الأرملة

قائله : اشكر المؤلف انه جعلك تموت وبسرعة حتى لا تعانى بقية المسرحية ..

توجهت بحديثها للمخرج :

أستاذ ..اليس من الممكن ان يموت زوجي الثاني او تطلقنى منه ؟

كاد المخرج أن يخر على الارض باكيا متعجبا ضاحكا ..نهرها ..ماذا تريدي ؟

..صرت أعشق الرجال واحب ان اتزوج كثيرا ..!!

ثار زوجها الثانى ..ونسي انه ممثل يقوم بدوره

هم ان يضربها ..اتتمنين موتى ..الا تشبعين من الزواج ؟

إذا.. كنت تمثلين صراخك وبكاءك على زوجك الأول ..!!

- وحياتك الغالية عندى ..كان بكائى من القلب ..

وأنت الأن زوجى وحبيبي وكل مالى بالدنيا ...

لاتنس اننا نمثل قصتهم ياحبيبي ..

وأنت ألا تريد ان تطلقنى وتتزوج غيرى او تتزوج علي ثلاثة نساء ..

- عن نفسى اريد ان اتزوج وادخل بكل النساء...الجميلات مثلك حبيبتي..!!

- لو وافق المخرج لفعلت..

تدخل المخرج بعصبية : كفى هذا الغزل ..ما أنا إلا عبد مأمور ..انفذ ما يكتبه المؤلف وليس لى ان أعترض او أغير.. ولا نريد الخروج على النص .

- وماجزاء من يخرج على النص ..سالت الممثلة بضحكة مائعة فهى تتمنى الخروج على النص ..

- هذا شأن المؤلف ..لا أحد يسأله ولا يعرف مايدور برأسه .

بدأت المسرحية ..

إلتزم الممثلون والمخرج بالنص ..

بينما كنت أفكر فى مسرحية جديدة

أدهشنى ان الجمهور كاد ان يفتك بالمخرج والممثلين

فر الجميع امام ثورة الجمهور ..عدت إلى

أوراقي ..كانت الجملة الأخيرة بالمسرحية

الجمهور يخرج عن النص.

" تمت "

وجود

بينه وبين البحر أسرار وحكايات.. يرويها له كلما التقى به. يشتاق إليه كلما ابتعد عنه ، فهو صاحبه الكتوم يزوره في الوقت الذي يرحل فيه الناس عنه .. فيأتي إليه في الخريف و الشتاء ..

يأتيه وفي داخله حكايات وأسرار وأسئله كثيره.

لاأحد سوف يفهمها غيره .

ما أن وصل إلي مكان إقامته ..

حتي ذهب إليه ليلحق لقاءه المفضل بينهما في ساعات الغروب ،

لم يكن بالشاطئ سوي أسرتين علي مسافات متباعده بالشاطئ... الأسرة الأولي..بدا من خلال سلوكها وضحكاتها .. أنهما عروسان في شهر العسل، والأسرة الأخري القريبة منه ... إمرأة شابه في العقد

الثالث من عمرها ، طفليها يمرحان معها ، تلعب معهما الكره التى يتقاذفونها ويمررونها لبعضهم بضربه من مضرب خشبي.

أخذ مقعدا ومنضدة صغيره ، وضع عليها حقيبة صغيره وزجاجة مياه وبعض العصائر وكتاب أتي به ليكمل قراءته التى بدأها في الليلة السابقة.

غاص به المقعد في الرمال ، استرخي تماما ، ثمة صوت يخرج من أعماقه :

- لست واحداً. ....أنا اثنان .. ثلاثة ..أو اكثر .

دائمًا ماتسحرني أيها البحر بهذا الجمال البديع ..ألوان مياهك الزرقاء والفيروزية والفضية.. سماؤك النقيه والبلوريه ، والتصاقها مع الماء عبر الأفق البعيد ،

مازال الصراع قائمًا بين موجك وبين شاطئك..

فلا تعب الموج ولا تحرك الشاطىء !

لا....جديد ..ياصاحبى ..

ليتني أستريح ....وليت الحياه تقبل استقالتي .

إنني جد متعب ... أتدرك ذلك ؟

- يجيبه البحر بثورة صاخبه ، فيقذف بزبد كثير على الرمال ،

- إهدأ ..ياصاحبي.. لاتغضب هكذا ،

تصبح السماء كانها بلورة صافيه.. تتوسطها كرة ذهبيه ترسل أشعتها الكونية ورسائلها اليه...

ينصت إليها...وكأنه ينصت إلى سيمفونية قدره .

يتناول كتابه ..لايلبث أن يقرأ قليلا إلا و يختلس النظرات إلى الأطفال والمرأة الجميله ..التى تركت أطفالها يلهون ويلعبون ، واسترخت بكامل جسدها ممددة على طاولة تلاصق الرمال .. ممسكة بكتاب تقرأه ...ولاتأبه لشئ حولها .

بينما كان العروسان في لحظات الحياه يتمتعان ببهجه الوجود.

يكف عن القراءه ، ياخذه الفضول نحو المرأة ويشده أكثر لمعرفة الكتاب الذى تقرأه .

تمضي الدقائق مسرعة مثل كل شئ يمضي ويموت..!

ترتدي الشمس ثوبها الأرجواني ، تتباعد في الافق ، تصارع السحابات الرماديه التى تهاجمها ، فتهرب وتناور ، وتبدأ فى الاختفاء .

العروسان مازالا يمرحان ويبدو أنهما لن يغادرا الشاطئ.

بينما المرأة تنادي أطفالها للإستعداد للمغادره ،

يتأهب للذهاب إليها واشباع فضوله .

لمحته قادما إليها ، لم تكن مفاجأة لها ، فحاسة المراة وفطنتها كبيره ،شعرت بذلك عندما أبصرت نظراته المختلسة .

استقبلته بابتسامة واثقه ..

– ها أنذا أنتظرك.. فماذا تريد ؟

بادرها قائلاً :

- ما سر حبك للبحر في هذا الوقت من العام ؟

قالت :

- زوار البحر يأتون إليه في الصيف ، و أصحابه وعشاقه يأتون إليه في الخريف والشتاء... وأنت ؟

- أنا من عشاقه وهو صاحبي .. بيننا كثير من الحكايات والأسرار.

- حكايات وأسرار.. مرةً واحده .

- كل منا حكاية وسر كبير كالوجود ذاته.

و لايجد غير البحر صديقا يبوح له.

- الوجود ليس سراً ولكنه حكايه عشق .

- اي عشق في الوجود ، لاأجد غير العبث والفوضى في الكون.

- أتحبين الغروب ؟

- أحب الشروق أكثر وأري في الغروب روعة النهاية.

- حقا روعة النهاية فى الغروب.. ذلك المشهد الرائع يحيرني دائمـًا .. الحكايه كبيرة ولا يتسع الوقت لمناقشها.

هل لى أن أتعرف عليك ونلتقى لنكمل الحوار في المساء ؟

- ابتسمت فى هدوء ....تطلعت إلى الكتاب الذى بيده .

قرأت العنوان ..فقرأت مكنون صاحبه .. !

منت عليه بابتسامة خفيفة قائلة :

- لا أظن أننا نستطيع أن نلتقى ... أنت تقرا العدم.....وأنا أقرأ الوجود .!

اختفى قرص الشمس فى الحاجز الوهمي بين الماء والسماء .

بينما الموج مازال يضرب في الشاطئ.

" تمت "

هيئت لك

قالت : هيئت لك .

رأى امامه حورية كل مافيها ينطق بالجمال والبراءة ؛

دنا منها ، ارتجف جسده ، غلت دماؤه،

تسارعت دقات قلبه ،

هتف قائلا : ما أنا بيوسف .

هم بها ،

همت به،

رأت فى عينيه نارا .

استبقا الباب ...

قد قميصها من دبر !

" تمت "

المجذوب

لاتعترض ..قالها الرجل الذى يفترش قطعة بالية من الخيش يتمدد فوقها ، جوار سور مدرسة قديمة .

يضع رأسه فوق وسادة متربة من أثار غبار وعوادم السيارات التى تعبر الطريق الموازى للرصيف الذى يتخذه مأوى وملاذا له ،.. يبدو بوجهه الأسمر وشعره الأشعث الطويل الذى تركه ليكون غطاءً لرأسه فى ليالى الشتاء البارده كأنه شحاذ او مجذوب ، لايملك من الدنيا غير عصاه التى يضعها إلى جواره وجوال من خيش يضع به ملابس بالية و بعضاً من الخبز الجاف .

ترامت إلى سمعه تلك الكلمة من المجذوب وهو وا قف تحت تندة المحطة منتظراً سيارة الشركة فى الصباح ..كان ينظر إليه ويتساءل فى نفسه كيف يعيش هذا الرجل ومن أين يأكل؟ اخترجت كلمته سمعه ، وأسرها فى نفسه متسائلاً : كيف عرف أنى أتحدث مع نفسى عنه ؟

وصلت السيارة وتوقفت أمامه ..فتح السائق بابها ليصعد إليها وهو يجيب : ربما لاحظ المجذوب نظراتى المتكررة إليه كل يوم ...

فى تلك الليلة ...كان موعد الحضرة التى تجمع الدراويش مع شيخهم فى حلقة ذكر وصلوات وتسبيح ..وقصائد صوفية ينشدها مريد ذو صوت عذب .

فيتمايل الدراويش يميناً ويساراً .

بينما الشيخ يتوسط الحلقة . ويديرها كمايسترو يضبط إيقاع العازفين فى فرقة موسيقية وراء مطرب يشدو بأعذب الكلمات من قصائد العشق .

كان الشيخ يحبه لحبه وصداقته بأبيه ودائما ما يخبره عن محبة أبيه للطريق وللدراويش ويتمنى عليه ان يكمل مسيرته.

لم يكن درويشاً ولا مريداً رغم حبه لهم . وللشيخ الذى يحبه ويحب النقاش والحوار معه ،

بعد إنتهاء الحضره التى يواظب على حضورها ليلة كل جمعه،

يتصدر الشيخ مجلسها ويصطف الدراويش جلوسا فى صفين متوازيين يحتسون القرفة والتمر ويتحاورون مع شيخهم .

- هات ماعندك الليلة ياعلى ..

قالها الشيخ .. فبدا عليه قليلا من الارتباك .

-لاشيء يامولانا عندى هذه الحضرة ..

بادره الشيخ وهو يبتسم في غموض:

- لاتعترض ياعلي !

عاد إلى البيت ولم ينم ..متسائلا فى نفسه :

قالها المجذوب فى الصباح وقالها الشيخ فى المساء ..

ظل يفكر كثيرا حتى بزغت فى عقله فكرة قديمة كان يتمنى أن ينفذها...

(الدير) ....غدا سوف أذهب إلى الدير وأعتكف هناك أياما لطالما تمنيت ذلك ..حان الأوان.

هاتف صاحبه وزميل دراسته القديم "بحيرا" الراهب ..الذى رحب به وأخبره أنه سوف يكون فى انتظاره ويهيئ له كل شئ.

أمضى ثلاثة أيام بالدير ، كل صباح يصعد إلى الجبل قبل الشروق ويرجع لحجرته عند سطوع الشمس ، يقرأ ويتأمل ويتعبد ، ثم يعود قبل الغروب للمشاهدة والمناجاة. وفى المساء يلتقي مع صاحبه بحيرا وتدور بينهم حوارات ومناقشات طالما أرقته كثيرا .

ودعه بحيرا عند انتهاء ضيافته له وشد على يده ،

تمنى أن يراه مرة أخرى.

بينما يتأهب للخروج من الدير ..لوح له بحيرا قائلا :

- لا تعترض ياعلي !

فى طريق عودته ..مر بمحطة المدرسة، نظر إلى الرصيف والسور ..

كل شيء فوق الوسادة ...إلا المجذوب ..لا أثر له.

انتظره كثيرا لكنه لم يأت ، أرتدى المعطف وارتداه !

أمسك بالعصا طوح بها يمينا ويسارا ..توقفت سيارة فارهة نزلت منها سيدة أنيقة توجهت إليه ،

وضعت بجانبه وجبة فاخرة ، قنينة ماء وفاكهة

كثيرة .

" تمت "

مسافر ليل

وجدت نفسي فى مفارق طرق ، متجها إلى تلك القرية التى أقصدها؛

الليل بحر لجى ، ظلمات فوق ظلمات،

أبحرت فيه كثيرا ، أبصرت نورا ، سفينة تقترب من شاطئي ، نادانى منها :

اركب معنا ..

قلت: طوعا ..ركبت ..أمسكت بالشراع ، سألته : من أنت ؟ قال : بل قل من أنا ! قلت كما أراد .

أشار بيده إلى شجرة باسقة على شاطىء بعيد وأردف ..من بذرتها أتيت ، فصرت جذرا ، ثم جذعا ، ثم فرعا ، ثم ورقا ، وها أنت.. ثمرة .

لم افهم شيئا حتى نظر إلى السماء وصاح : أنت ذلك العالم الأكبر .!

مررنا بجزيرة صاخبة ، صراخ وهرج ومرج ،سألته :ماهذا ؟

قال: الأسد يحمي مملكته ، يطارد الذئاب ، هرب من هرب، ومابقى وقع فى الفخ .

ثم واصلنا المسير ، موج كالجبال يصارعها ، وريح عاتية تقذف بها يمينا ويسارا ، سرعان ماستوت وشقت طريقها من جديد ؛ ما أن يمد يده فى الهواء بقوة ويصيح فيها ..

يتراجع الموج وتهدأ الريح ،

يصرخ : سيري فأنت مأمورة !

مررنا بجزيرة أخري ،أبصرت الذئاب الهاربة ،

أجابنى قبل أن أسئل : إنهم يتأمرون ويعدون العدة لمهاجمة الأسد ...مساكين يظنون أنهم بمنأى عنه !

ثمة ريح عاصفة أخري مرت ، لكنه دفعها فذهبت كأنها لم تكن ،اقتربنا من بلدة هادئه ،

على شاطىء تلك البلدة ..قال : إنزل ..إبدأ طريقك ..القرية هناك ..لاتخش شيئا ولاتخف من الذئاب !

اي طريق أسلك ؟

مازلت أسأل

و أنتظر الإجابة.

قصة قصيرة

" تمت "

قبلة طويلة

باغتها بنظرة حنين إلى عينيها بقوله : وحشتينى !

كان اللقاء فى مدخل العمارة قبل ان يهما بدخول المصعد،

لمعت عيناها وحمرة خجل كست خديها الوردتين .

ثمة دهشة امتزجت بفرحة تسربت بداخلها ، ابتسمت،

- وانت ايضا وحشتني ، احتضنته عيناها ،

- تعالى نصعد السلم معا ..مارأيك ؟

- أخشي على قلبك المتعب .

- لا أخاف على قلبى وأنا معك.

- انت روحى وقلبى وعقلى .

- إذا هيا إلى السلم !

اخذت كفيه بيديها ووجهه بعينيها ،

صعدا الدور الاول ..

بادرها قائلا : قالوا لى أنى لم أبك عندما ولدت !

- وانا كنت اضحك.. قالت لى أمى ذلك !

وصلا الى الدور الثانى ،

جلسا قليلا على درجة السلم ،تشابكت يداهما ،

لاشيء غير الصمت يحيط بهما ، قطعته قائلة : كنت تضربني كلما لعبنا معا ..ثم تصالحني بقطعة حلوى .

ضحك ..وضحكت ..وهما بالقيام .

فى الدور الثالث ..

توقفا قليلا ..اسند جسده إلى الحائط واقتربت منه،

– مازال امامنا أربع ادوار اخرى ..قالها وهى تضع راسها على صدره،

– هذا اختيارك ..مازال المصعد أمامنا ، اتحب ان نتوقف هنا ونأخذه ؟ .. . احست بسرعة نبضات قلبه وخفقانه .

– بل نكمل... لا اريد ان اصعد بسرعة !

لاتخافى قلبى معكى ينبض بالحياة . لنكمل الرحلة ،

فى الدور الرابع .

.جلسا مرة اخرى

بادرها : فى الثانوية ..كتبت لك شعرا وارسلت لك مئات الرسائل !

– مازالت اوراق الورد رغم ذبولها مع الرسائل فى كتبى وكتبك .

يداعبها حنين الذكريات فيتداخل مع نبرات صوتها

– كانت أجمل أيامنا معا فى الجامعة ،

– كنت أترك محاضراتي

واذهب للقائك بكليتك ونمشي كثيرا ونضحك كثيرا ،

- كل ايامى معك جميلة ،

ضحكت عيناه وتوردت وجنتيها ،

- هانت ياحبيبتى نكاد نقترب من النهاية ،

- لاتقل النهاية بل قل نكاد نقترب من عشنا الجميل ،

- معك حق ، كان الوصول اليه بعد عناء حتى ضمنا معا ،

لنواصل الصعود ،

اجتازا الدور الخامس دون عناء، بين همس الكلمات وحديث

اصابع متشابكة ونظرات من اعين تفيض حبا ودموعا ،

حتى وصلا للدور السادس.

تسارعت نبضات قلبه احتضننها ،ضمها الى صدره ..سبقه شوقه إليها

،

تاها معا فى نوبة عشق وقبلات واحاديث لاتنطق .

استيقظا على صوت ساكن يخرج من المصعد ،

وهو يضحك : مساء الخير ياعم كمال ..كيف حالك أبلة علياء ؟؟

ارتبكا وضحكا ..ونسيا ان يردا تحية المساء !!!وواصلا الصعود ،

- أخيرا وصلنا. للدور السابع !

وهاهو عشنا ياعلياء اشتقت اليه هذه المرة كثيرا

- نعم ياحبيبى ..رحلة طويلة ومتعبة وجميلة ومثيرة..مازلت شابا صغيرا ياحياتى وشمسى وقمرى وعمرى .

ضحك وهتف... انت تجعلينى أحب الحياة ،

اتجه الى الشقة ،وقفا معا ، اقتربت منه .احتضنته ، واحتوته ...قبلها قبلة طويلة ..ظلت فى شفتيها ولم تغادرها حتى بعد ان دخلت وحدها عشهما الجميل.

" تمت "

صديقتى

تزورنى دون موعد

ودون استئذان،

أجدها أمامى فى لحظة يمتليء بها صدرى باوجاع الحياة والتأملات ،

تأتيني عند الغروب . فبينها وبينه سرا عجيبا ، تعشق الوحدة والعزلة ،

فتجد ماتعشقه وتحبه معى . فتأتى بعنفوانها تقبض على قلبى .

فاصبح اسيرا لها وعابدا فى محرابها .الوذ بالصمت فى وجودها ، تتعرى أمامى وتصبح كشجرة تساقطت فى الخريف اوراقها ،

واظل اسيرا لها اقدم فروض الطاعة والولاء .

تبدو لى كأنها إمرأة بلا روح ولا قلب ،لكنها حسناء ،

يزيدها الصمت سحرا ،ويضفى عليها الغموض مهابة،

ينقبض قلبى لرؤيتها ،وسرعان ما أتعود عليها ،

نقضى معا أياما فى شجن ، احاول الهرب منها فأخرج للشوارع

والزحام ونفير السيارات ،اتجول فى الحدائق ،او أذهب للبحر ،واسمع

غناء الموج او اصنع بيتا من الرمال على شاطئ الاحلام،

لكنها لاتأبه ولاتبالى بما أصنع ،

لاينقذنى منها إلا النوم ،الذي أستدعيه بعد الذهاب لصاحبى الصيدلى،

فيعطينى بعضا من المهدئات ،

فهو يعرف قصتها معى ،ويعرف مواعيد زيارتها ،وخاصة اجازتها السنوية الطويلة التى تقضيها معى عند بداية الخريف ،

كان يضحك كلما حدثته عنها ،ويطالبنى بالتخلص منها دائما ،والا أستسلم لجبروتها ،

حتى كانت زيارتها الأخيرة ،التى طلبت منها الفراق ،

لم تحزن ولم تبال ولم تضحك ،رايتها فى هذه المرة

تمثالا من العاج صنعته أوهامي حتى ظننت انه اصبح حقيقة،

فعشقته ،تمردت عليها ،غادرت فى صمت ،

ذهبت لصاحبى هذه المرة ضاحكا ،بادرته بقولى :

إعطنى حبوبا للتفاؤل !

فلم يضحك وكان متجهما صامتا ،شاحبا ،حزينا ،

عرفت أن (الكأبة) حينئذ قد تركتنى وذهبت لصاحبى.

" تمت "

ماء وطين

لم تشرق شمس ذلك اليوم ، ولم يكن فى السماء سوى مزيج من السحاب الأسود والرمادي ، وزخات مطر تنهمر ، تحولت شوارع القرية الصغيرة إلى برك صغيرة راكدة ، بيوت القرية منازل صغيرة من طوب صنعوه من الطين والماء والتبن يطلقون عليه الطوب الأخضر دائما ما يطلون واجهات بيوتهم بالجير الممزوج باللون الاصفر والسماوى والاخضر ، فى أيام المطر تبدو أسطح بيوتهم بلونها الذهبى ، بعد ان يغسل المطر كومات القش التى استخلصوها من محصول الذرة ،

فيأتوا بها ويضعوها فوق الأسطح ،ليستخدموها اثناء الشتاء وقودا لأفرانهم البلدية التى يستخدموها فى صناعة الخبز والأطعمة أيضا ، يخرج كل رب منزل بفأسه يزيح الطين ويسوى امام منزله ويصنع ممرا لعابري الطريق ،ثم يأتى بحطب القش والقطن ويشعله فى المنقد المصنوع من الفخار ،وبعد ان تهدأ النيران بالمنقد يدخله للمنزل

فتلتف الأسرة حوله ،كل يمد يده يلتمس بعض الدفء وسط ضحكات وسمر حتى يخلد كل منهم لنومه ، بينما يخرج الأطفال للعب تحت المطر يمرحون ويقذفون بعضهم بالطين احيانا اخرى ،فى ذلك اليوم ..توقف الاطفال عن صياحهم ومرحهم عندما اقترب منهم ذلك الرجل الذي يحمل زهورا ،مرتديا معطفا أسود فوق بدلة سوداء أنيقة وقميص أبيض ورابطة عنق سوداء وفوق رأسه قبعة سوداء ، وبيده الأخرى شمسية سوداء يستخدمها لحمايته من زخات المطر ، التف الأطفال حوله ، ابتسم لهم ، ركن شمسيته جوار حائط ،وضع يده فى جيب معطفه ،واخرج جنيهات كثيرة ، وزعها على الأطفال ، الذين واصلوا المرح والصياح والضحكات اكثر وأكثر ،

واصل الرجل طريقه حتى دلف إلى مقابر القريه ، توقف أمام قبر مجهول مازالت بنايته بالطوب الأخضر الذى أخذت منه عوامل التعرية كثيرا ،بينما تحيطه أبنية المقابر المرتفعه والتى تم إعادة بناءها وزخرفتها من جديد، ألقى ببعض الزهور داخل القبر ، ووضع البعض الأخر فوق قبوة القبر العارية من قشرتها الخارجية ،

كان هناك فى الجهة المقابلة له ..حارس المقابر ينثر الماء والتبن والطين فوق فتحة قبر قد تم دفن طفل وليد بها فى الصباح ، شاهد التربى الرجل وظل يراقبه مندهشا ومتسائلا فى نفسه : من يكون هذا الرجل ؟ ترك ما يقوم به ، اقترب منه شيئا فشيئا ، اصطنع كحة قوية قبل ان يصل إليه ، حتى شعر به الرجل ولم يعره اهتماما ، وقف التربى بصدره العارى وجلبابه الذى ربطه حول وسطه ، وسيقانه الطويله التى امتزجت بالطين ، يحملق فى الرجل كثيرا وينتظر منه التفاته او كلمه ، لكنه لم يفعل ، فبادر بسؤاله : أى خدمة يمكن أن أقوم بها لحضرتك ،..هذا القبر مهجور ولايأتى إليه أحد ، قاطعه الرجل بهزة رأس تنم عن معرفته وموافقته على مايقول ، وواصل عدم اهتمامه به مكملا تمتمته وكلماته التى ختمها برفع يديه للسماء ، وعند انتهائه سمع التربى وهو يردد ...أمين ،

كان الأطفال قد مشوا وراء الرجل فى صمت يراقبوا المشهد ،

حتى اذا مانتهى الرجل تجمعوا حوله ، كل منهم يمد يده إليه قائلا ..الرحمة ياعم ...!

يضع يده فى جيب معطفه ومرة اخرى يوزع المال على الاطفال ، فيواصلون الضحكات ، ثم يخرج ماتبقى معه ليعطيه للتربي ..

الذى تهلل وجهه وفرح كثيرا لكن مازال فضوله يريد ان يعرف من يكون الرجل ومن يكون فقيد القبر المهجور ؟

يسأل التربى ؟ يجيبه بصوت هادئ

لن تفهم أيها التربى اذا جاوبتك !

يعرض مرة اخيرة خدماته فيساله

هل استطيع ان اقدم لك شىء او افعل شيئا للحفاظ على القبر واعادة بناءه ؟

كان الرجل يهم بالمغادرة ،يلتفت إليه وقد بدأ خطواته الأولى قائلا: لاتسرق الزهور أيها التربى .

" تمت "

الرسالة

فى طريق عودتى من العمل أمر ببيتها .

فى هذه المرة

سمعت صوتا خافتا يناديني قادما من أعلى .

رأيتها تقف فى شرفتها ، كانت قد قذفت رسالة ورقية ، ظلت توجهني : يمينا ، يسارا ، إلى الأمام ، وإلى الخلف ، حتى إلتقطت الرسالة ووضعتها فى حقيبتي .لأستيقظ وفى عقلى الباطن سوف أقرأها عند عودتى إلى البيت.

تذكرت أنى لم أرها منذ ثلاثون عاما ولاأعرف عنها شيئا.

كنت سعيدا برؤيتها وانا أتذكر وجهها الملائكى.

تناولت هاتفى كعادتى عند الاستيقاظ من النوم. ادخل على صفحتى بالفيس بوك لأقرأ جديد الاخبار والاحداث والتعليقات .

فإذا برسالة هناك فى بريدي الخاص.

اختيار

ماقال لا إلا فى تشهده ولا يكلم إلا حين يبتسمُ، كان هذا البيت من الشعر يحبه ويردده كثيراً وهو يمزح مع صديق يراه متجهما أو عابسا ، ودائما مايعمل به فتراه مبتسما بشوشا ،

يحاول جاهداً أن يكون فى عون وقضاء حاجة الأخرين ، وينشر البهجة والتفاؤل فى كل مكان يتواجد به،

وكأنه يرسل أشعة وإشارات تفاؤل وأمل للناس ، فلم يكن يعرف لليأس مكانًا ،فقد قرأ فى الدين والعلم والفلسفه والأدب وعلم النفس مما جعلهُ يُملك كنزاً يستخرج منه حلولاً لكل مشكلة تواجههُ ، فيستخرج منه أيات أحيانا وأقوال ماثورة أحيانا أخرى، وكأُنه يملك بعض من الحكمه او يمشى فى دروب الحقيقه التى يبحث عنها ، أو يطرق أبواب اليقين ...كان لديه يقين أن هناك نقطة تحول سوف تأتى فى حياته وتغير كل شئ وتجعله يترك كل شئ من أجل الحقيقة التى

يبحث عنها ، وجاءت اللحظه وكانت نقطة التحول... لحظة عشق ووجد.. نبض فيها كيانه للحب ، فكان الاختيار..غريباً وعجيباً .

اختار الفناء الذى يتمناه .

ينبغى أن اترك كل شئ وأرحل لأتذوق طعم هذا الفناء ...قالت له نفسه ذلك .. لكن إلي أين ؟

دار بداخله صراع ، نفسه مع نفسه وعقله مع عقله وقلبه مع نفسه وعقله .. اذاً لتكن الإراده!

الموت ... الفناء ...صار يحدث نفسه بهما ، حتى سيطرت عليه الفكره وتواردت الافكار على قلبه، ولم يعد يعرف للنوم طريقاً ،فماذا يفعل النوم مع عقل ساهد وقلب يشتعل به الوجد ؟

لابد أن أعلن عن موتى... كانت هذه هى بداية الطريق ، ذهب الي الجريدة الرسمية ، أعطاهم نعيهُ، نعي نفسهُ وكتب على غير مايكتب الناس : البقاء فى الله.. أنعى لكم روحا فى العشق هامت فأًثرت الفناء، واختارت الرحيل ، فلا تبحثوا عنى ولا تبحثوا عنها !

نشرت الجريدة النعي ، فقرأه كل الذين يعرفونه ، وحاولوا الوصول إليه و لم يستطيعوا. فقد تخلص من هواتفه و حساباته وأغلق كل طريق وباب يؤدى للوصول إليه .

باب واحد كان مفتوحا .

كان قد طرقه ولم يؤذن له بالدخول .

" تمت "

نصف القمر

نصفها معه و نصفه معها .. يري نصف وجهها المشوب بحمرة اوراق الورد وعين خضراء وأنف امرأه فرعونيه وشعر ليل ينسدل علي كتفيها وبعض خصيلات فوق جبينها ..و النصف الاخر يراه في عين القمر فوق موج البحر قبيل الشروق وكأن القمر يرفض أن يغادر الليل ويترك مكانه للشمس ولبزوغ النهار .يناجيها ويتغزل فى عينبها وفمها المرسوم كالعنقود الذي تمني لو التقي به فى ليلة حب قمريه .

ماأقسي فراق العشاق ..لم يبق معه الا تلك الذكريات وبعض الكلمات وبعض الأمسيات وبعض الضحكات.

بحث عنها في الطرقات التي مشوا فيها يوما .. سأل عنها قارئة الفنجان وضاربة الودع... الحب عليك هو المكتوب ياولدى ،

يمر على الديار يسأل عنها شرفتها ..يذهب الى الجامعه ويسأل المدرجات ويسأل طرقاتها التى مشوا فيها أياما وأياما ،

ذكريات تعبر دائما أفق خياله ،تجعله يراها من وقت لأخر في أحلامه ..يراها احيانا ضاحكة وباكية أحيانا أخري ،

كانت هى الأخرى تحمل نصفه معها وتعيش بنصف أخر وحياة أخرى ..تراه كما يراها وتحلم به كما يحلم بها وكلما استيقظت ورأت وجهه امامها زارتها ابتسامته ، وتقضي يومها في سعادة حتي يعاودها مره أخرى في حلم أخر،

صارت أيقونته وصار أيقونتها وعلي جدار العشق كتبا قصه حب وفى حديقه العشق زرعا بستانا ووروداً وأزهارا،

رسائل العشق بينهما لاتنقطع تتواصل الأرواح وإشارات ورسائل صوفيه كل يوم توضع في بريد كل منهما ،

تسأله زائره تقف أمام لوحته نصف القمر عن المعني :

يشرح لوحته التي قضى فيها عمره يرسمها :

-الوجود عالمين ..نصف نعيشه والنصف الأخر فى مكان أخر لكنه يكمل عالمنا وكل شئ لايكتمل الا بنصفين

نصف معنا ونصف هناك "

تسأله أين :

- معها فى عالم الأرواح ..حيث كنا كيان واحد فكلانا لايكتمل إلا بنا"

تهز رأسها طربا وتخلع نظارتها السوداء فيعيد النظر إليها كأنه يراها من جديد ،

ترتبك هي ويرتبك هو وتسأله من هى :

يجيبها كل شئ في كيانه ، فتخرج كلماته وهو يحتضنها بعينيه :

أنت يا نصف القمر .

" تمت "

مستوفليس

مستوفليس

ماذا لو كان الشيطان غير موجود بهذا العالم ؟

هل يكون هناك شر ؟ هل يكون هناك دين للبشر؟

ما جاءت الانبياء بالدين الا للهداية وتعريفهم بالذي خلق ،

اذا لم يكن الشيطان موجودا ..فلا وجود لكنيسة ومعبد ومسجد .

ولن يوجد قسيس وكاهن و شيخا .

حينئذ سوف يكون كل البشر ملائكة ولكن من طين !

كلنا نعلق خطايانا وجرائمنا على شماعة اسمها الشيطان .

ياإلهى ماذا أقول ..لقد شطح العقل ولعب به الخيال .

كانت ليلة من ليالى الشتاء العنيفة، رعد وبرق ومطر وريح هوجاء تكاد تخلع نوافذ الحجرات ، وجسدى المتعب لايعرف النوم.

أتقلب يمينا ويسارا ،ولافائدة ،أخرج إلى صالة البيت ، أحاول الوقوف خلف باب الشرفة وانظر إلى عبثية الكون وغضب السماء ،من خلال نافذة بالباب ، أرى ضوء قنديل حزين يكاد يختفى فى ضبابية المشهد بالشارع ،أعود مرة أخرى إلى الفراش ،أقرأ أدعية وأغمض عينى وأسحب الغطاء فوق وجهي ،لا فائدة ..

مازال النوم لايريد زيارتى ، أرفع الغطاء من فوق عينى التى

عادت لتبحلق فى سقف الحجرة المظلمة من جديد ، مازال هناك شيء ينطق ويتكلم بداخلى ،ثمة صوت يشق جمجمتى ويتحدث فى أى شىء، لو نام عقلى لنامت عينى ! قلت فى نفسي ذلك،

عقلى لاينام ، هناك من يسكنه ويتحدث بداخله ،

حاولت أن أهدأ ..وأقنع نفسي أن ذلك وهما ...وكانت هدنة صغيرة سرعان مانتهت وعاد الصوت الذى بداخلى، هذه المرة أشعر أنه ينتشر كالصدى ،ضحكت وسألت نفسي هل يكون هو ..مستوفليس ؟!

ضحكت من جديد ، قلت فى نفسي : يبدو أنى قد تأثرت بفاوست ، أريد أن أنام ..وليذهب فاوست و شيطانه إلى الجحيم .

تحرك الصوت من داخل جمجمتى :

- أنا مستوفليس !

- هل وصل بى الحال لهذا ؟

- أنت لاتهذى.. أنا هو صاحب فاوست ..لاتخف .

أنا أسكن فى قصر كبير بجمجمتك الصغيرة هذه،لا تندهش ياصديقى فجمجمتك هذه تسع العالم كله ،وانا قد حجزت بها قصرا وحديقة صغيرة فقط .

- قصرا وحديقة وماذا بعد ياسيدى وماذا تريد الأن منى ؟

- أنت الذى كنت تتحدث عنى وأرقتنى ولم أعرف أن انام فى ليلتك الطويله هذه ، فكرت أن أتحدث إليك وأقض مضجعك .

- أنا الذى أزعجتك وجعلتك لا تعرف النوم .

- نعم أنت .. أشكرك لأنك دافعت عنى ولم تظلمنى مثل باق البشر ..يرتكبون كل خطاياهم بإرادتهم ويتهمونني وينسون فضلى عليهم .

- أى فضل لك ؟ أنت لا يأتى من وراءك إلا ...

قاطعنى قائلا :

- لاتكمل ..ألست سببا فى كل ماكتبه الشعراء والكتاب وكل مارسمه وأبدعه الفنانون واخترعه العلماء .

- وماذا تريد ؟ هات ماعندك ..

- أريد أن أفيدك وأعقد معك صفقة كما فعلت مع فاوست .

- لا أريد منك شيئا ودعنى لحالى واتركنى لأنام استحلفك بأبيك عزازيل الكبير!

- دعنى أتبول فى رأسك ياصاحبى واسمعنني حيدا .

- تتبول فى رأسى ..خسئت ..أنت شيطان سافل .

- لا تغضب هذه لغتنا ،أعنى أتجول بعالمك وأجعلك تكتشف قدراتك وأحقق لك كل ماتتمناه فى هذا العالم .

- ثم تأخذ روحى وجسدى مقابل ذلك .

- انس ذلك وأذهب لتتبول برأس أحد غيرى !

- أنت إنسان بغيض ، أهكذا تحرجنى ؟

- أحرجك وأحرج جدك عزازيل نفسه ،ليتنى لم أتحدث عنك، كانت لحظة سوداء عندما تذكرتك .

- سوف تندم !

فجأة تحول الصخب بجميمتي لصمت وهدوء رهيب.

كانت الرياح قد هدات وتوقف المطر ، وبدات اصوات التثائب تخرج من فمى الذي يفتح عن أخره فى نوبة تثائب ثقيلة. عينى بعده تتساقط منها دموع مالحة وساخنة.

حاولت أن أتاكد انه قد ذهب حقا ، وبصوت متثائب ناديته

مستو..مستو ..مستوفليس !

لم أدر بنفسي إلا على صوت هاتفى الذي يرن بشكل متواصل، تنبهت له ، مددت يدى لألتقطه من فوق كومود جوار فراشي، انتفضت من الفراش،كان الوقت ظهرا، مالذى حدث ؟

لعنك الله بافاوست انت وشيطانك ..لقد تغيبت عن العمل اليوم . وجدته أمامى ضاحكا ، يحمل قلما وأوراقا..

قال : العقد جاهز للتوقيع ياصاحبى !

" تمت "

هى والقدر

وقف القدر على مسافة متساوية بينه وبينها،

يسأل نفسه : كيف استطيع ان اجمع بينهما ؟

عالمها غير عالمه ، هى ملكة جمال الدنيا ، تجرى وراء الشهرة والمال والأضواء .تعيش حياتها من أجل المتعة ولاتفكر فى غير ذلك .الحياة عندها غاية ووقت قصير .

هو دميم زاهد فى محراب الفكر والقراءة والتأليف ، لا يحب الشهرة و الأضواء و الأموال ..يتطلع الى حياة ما بعد الموت وغالبا ما يشك فى وجودها .غايته أن يموت فى هدوء دون صخب ويرى الحياة التى يشك فى وجودها ، ولا شيء يهم بعد ذلك .

صدرت له روايته الأخيرة ، قرأها القدر ، تعجب وسخر قائلا : لقد فرق المؤلف بين الحبيبين ..وعندما التقيا لم يعرف كل منهما الأخر ...أين أنا ..لابد ان يلتقيا .. ويذهب المؤلف للجحيم .

فى اليوم الأول للتصوير بعد ان تحولت الرواية لفيلما سينمائيا ..بدت فى كامل زينتها وتألقها ، رأته ، تحسست قلبها الذي لم ينبض يوما لأحد رغم انها تزوجت كثيرا ،

- انت هى .. بطلة الرواية.

- وأنت هو ... ؟

- لست انا .

- وأين القدر ؟

- انا .. قالها المخرج ضاحكا !

حقق الفيلم ملايين الدمعات و التنهدات و العشاق !

ذهبت إليه، كانت تعلم ان قلبها ذهب قبلها ، ولما لا اتزوجه وأذهب لخطبته ..أصرتها فى نفسها .

- هل تقبل ان تتزوجنى

- انا دميم وأنتى جميلة

- جمال عقلك شدنى إليك

- انا فقير وأنتى غنية

- كل ما أملك لك وحدك

- لماذا ؟

- أتمنى ان انجب منك ولدا ليكون ملكا لهذا العالم .

- ماذا تقصدين ؟

- انت عبقري ، وأعقل رجل فى العالم وأنا اجمل نساء الدنيا وأغناهن مالا ،

اذا تزوجتك.. انجبنا من يحمل عقلك ويملك جمالى ومالى !

ضحك كثيرا ، بينما وقفت فى دهشة وهى تطالع قسمات وجهه .

- لماذا تضحك

- أخشى إن تزوجتك ان تنجبي منى رجلا يحمل عقلك

ويملك دمامتى !

بكى القدر وانسحب من المشهد .

" تمت "

طاووس الرئيس

المفاجأة كانت صادمة لرئيس الوزراء عندما صدر قرار إقالته ، جن جنونه عندما عرف اسم رئيس الوزارة الجديد .

سأل الرئيس :

- لماذا أقلتني وانا الذي أخلصت لك ولم يحبك أحد مثلى .

- لكل زمان رجاله ، وسلطتي تمنحني ذلك .

- انا لم أقصر فى حقك

وكنت انفذ اوامرك .

- رئيس الوزارة الجديد أفضل منك .

- لم يكن حبى وطاعتي نفاقا ولن يطيعك او يحبك مثلي .

- قضي الأمر.

غضب وتحول الحب إلى كراهية وعصيان وصراع.

تزعم المعارضة ، التف حوله الغاضبون ،

استقطب الكثير من انصار رئيس الوزارة الجديد.

انقسم الشعب ، اتسعت الفجوة بينهما ،

عمت الكراهية والفوضى ، استطاع بدهائه ان يكون له حزبا ، يزداد توهجا وبريقا وتزداد شعبيته وانصاره .

لم يقلق الرئيس بريقه ولمعانه ولم يبال بما يفعله .

فى قرارة نفسه يتمنى لو رضي عنه .

ويعود إلى سابق عهده .

- كنت مسبحا بحمده وادور فى فلكه واطيعه طاعة عمياء ..ماذا كنت أفعل أكثر من ذلك ، أمن أجل ذلك المجهول يقيلني ؟ لم اكن مخطئا عندما تحولت لمعارضته ..ماذا علي ان أفعل ؟ مازلت أحبه واتمنى ان يعف عنى ..واعود إلى سابق عهدي ومكانتي ..كل ذلك لا جدوى منه

فلن اكون رئيسا ولا اصلح لذلك ولا املك امكانيات الحكم ولاتتوفر في ، كل منا له مكان معلوم .

حدث نفسه ، وفكر كثيرا ، وأرسل طالبا لقائه .

خر ساجدا أمامه ، قال : العفو والسماح سيدى !

- ارفع رأسك ، أسامحك شرط أن تعلن اعتذارك لرئيس الوزراء الجديد !

- ماعارضتك إلا بسببه ، كنت أريد ان أثبت لك انى خير منه وأنه أقل منى كثيرا فى وفائه وإخلاصه لك .

- هذا شرطي .

- جئت إليك لأتصالح معك لترضي عنى ونكتب معاهدة صلح ونبدأ عهدا جديدا ..اعتذر لك انت ولن عتذر له .

- اعتذارك له يرضيني ..انا فى غني عن اعتذارك .

- نعم سيدى أعلم ..لكن لا أستطيع ..إن لم تقبل عودتى سوف يزداد الهرج والمرج وتراق الدماء .

- لقد تركتك فى غيك وعصيانك لتعلم من الأقوى .. صور لك عقلك المريض أنى لا استطيع ان ادير البلد دونك .

- عرفت وها انذا بين يديك .

- إلإعتذار له !

- سيدي : هل تقبل عمل استفتاء على معاهدة صلح بينى وبينك .

- هل نسيت أنى صاحب القرار .

- اترك لهم الاختيار مرة واحدة .

- وهل ينسون لك ما فعلته بهم ؟

- لنرى ، ربما تحركت فيهم شيمة عفوك .

- حسنا، سوف اصدر قراري بعمل استفتاء !

غمرته فرحة عارمة ، حرك مكره وخبثه ، استخدم كل وسائل الدعاية ، سخر الإعلام لصالحه .تشبث بالفرصة .

ظهرت نتيحة الإستفتاء ، ذهبت كل الأصوات لصالحه بما فيها صوت رئيس الوزارة الجديد .

" تمت "

رحلة قصيرة

أحب جدى كثيرا ، يصلي ، أقف جانبه ،ينتهى من صلاته ، يضمني إلى صدره ، يمسك يدى الصغيرة يقبلها .

مازالت صورته لاتفارقنى ، عمامته الأزهرية ، رداؤه الوقور ، وجهه الأبيض المتورد ، لا يفارق القرآن ولا القرآن يفارقه ، أراه يقرأ ، يرتل، يعلم الأطفال، يأتي إليه الشيوخ يقرأوا أمامه ليصحح لهم القراءات ، فى لحظات الإحتضار أتذكر أذان الفجر بصوته العذب ،وأخر أية قرأها قبيل صعود روحه إلى السماء .

وقفت أشاهد لحظة الغسل عندما وضعوه على طاولة خشبية ، كان ثغره مبتسما كأنه يرى أشياء لا نراها ، أدخلوه فى الثوب الأبيض ، ربطوا الأحزمة بوسطه وقدميه ،

غطوا وجهه ، قرأوا الفاتحة ، وضعوه فى نعش خشبي ، انتقلنا معه إلى المسجد للصلاة عليه.

جاءت لحظة الوداع ، انهمرت دموعي المحتجزة بعيني .

وسط التكبير والأدعية نزلت مع التربى إلى القبر ،مرت لحظات كأنها الدهر ، فتحت عينى ،كل ماحولى ظلام ، صرخت ، صعدت درجات السلم الصغير ابحث عن الفتحة التى أغلقوها بالطوب والطين والتبن،

ضاعت كل محاولاتى من صراخ وضربات على الحائط المسدود ، عدت إليه ، القيت برأسي الصغير على صدره.

قلت له : أخرجني ياجدي من هنا .

أبى ، أمي ،إخوتي سوف يبحثون عني .

شعرت بشيء يتحرك فى جسده ، يداه تخرج من القماش ، ينهض ، يمزق الأربطة ، يتخلص من القطع القطنية فوق عينيه ، يصبح وجهه قمرا منيرا يبدد الظلام حولنا .

هدأ من روعى...قال : لاتخف .

تحول الكفن إلى زي إحرام ، لفه حول جسده ، نهضت معه ، ضحكت، غمرتني سكينة وراحة .

- قال : هيا !

- إلى أين ؟

- قصري وحديقتي .

- ألك قصر وحديقة هنا ؟

- سوف ترى كل شيء.

مشينا فى نفق مظلم لم يكن به ضوء غير وجهه الجميل ، عبرناه ، انكشف امامنا فضاء شاسع ، اشجار وارفة ليس لها ظلال ، طريق ممهد ، بساتين زهور لها ألوان يانعة وشذي يفوح .

على جانبي الطريق ، وقف أناس وجوههم من نور لتحيته ، يغنون له ، يلوح لهم ، يكبر ، يسبح ، يردد الأذان .

وصلنا إلى قصره وسط الارض الخضراء الواسعة ،هتفت : أنا جوعان !

قال : كل ماحدثتك به نفسك من طعام سوف يأتي حالا .

على منضدة ذهبية كانت الفاكهة التى تمنيتها ، الشواء ، الشراب فى اباريق فضية .

كل شيء حولى كان من ذهب وفضة و احجار كريمة .

نهمت ، شبعت ، ارتويت .. سالته : اين جدتي ؟

قال : انظر هناك ، هاهي أمامك .

جريت نحوها ، اخذتني فى حضنها ، قبلتني ،قالت : أنت الغالي بن الغالي .كان البهاء فى وجهها كأنها البدر فى تمامه .

سألنى : أ تريد البقاء معنا ام العودة إلى أبيك وأمك ؟

تلعثمت كلماتى ، قلت : هنا الطعام ليس له مثيل ، كل الأشياء جميلة هنا .

ضحكت جدتي ، قالت : ياعكروت تريد أباك وامك .

قال : سوف أعيدك ، لكن لا تخبر أحدا بما رأيت و سمعت .

علي فراشى فى حجرتى وجدت أمي وأبي وإخوتي حولى .

كلهم يسألون بلهفة : اين كنت ، قلبنا الدنيا بحثا عنك ، ظننا انك خطفت .

- كنت ...لم أستطع ان اكمل جملتي ، رأيته واقفا مبتسما لا أحد يراه غيرى ..نبهنى ألا اتكلم .

الأن اصبحت فى عمر جدي عندما ذهب إلى عالمه الأخر ، اتأمل براءة وجه حفيدي الصغير ، وأفكر أن آخذه معي فى رحلتي القصيرة.

" تمت "

الفهرس

يوم أو بعض يوم ١١

قلب مفتوح ١٥

المصباح ٢١

أنين الناى ٢٧

الرقصة الأخيرة ٣١

القادم من السماء ٣٧

وجه أخر للعشق ٤٣

ذات فرع ٤٥

خلود ٤٧

تسالي ٤٩

سلطان العاشقين ٥١

حيرة فرويد ٥٥

رقم معلوم ٥٧

طيف ٦١

البهلوان والبحر ٦٣

أصل وصور ٦٩
وجود ٧٥
هيئت لك ٨١
المجذوب ٨٣
مسافر ليل ٨٩
قبلة طويلة ٩٣
صديقتى ٩٩
ماء وطين ١٠٣
الرسالة ١٠٧
اختيار ١٠٩
نصف القمر ١١٣
مستوفليس ١١٧
هى والقدر ١٢٣
طاووس الرئيس ١٢٧
رحلة قصيرة ١٣٣